﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

[القصص: 47]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربـطُ إنـذار مَـن لم يُنْذَر بالسُّنَن الإلَهيَّة في عدم العقاب إلّا بعدَ الإنذار

لمّا ذَكَر اللّهُ تعالى في الآية السّابقة أنّ هؤلاء المشركين المُخاطَبين لم يأتهم نذيرٌ باشرهم بالنّذارة، فكان ذلك سببًا في نفي العذاب عنهم؛ بيّن هنا أنّ إرسالَ النَّبيِّ ﷺ أمرٌ لا بُدَّ، حتَّى يقطعَ عنهم أيَّ حُجَّةٍ في تركهم الإيمان، فقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: ولولا هذا الذي ذكرناه ما أرسلناك لتنذِرَهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُصِيبَهُم﴾: أصابَ السّهمُ: إذا وصل إلى المرمى بالصَّوابِ، والإصابة: النّزولُ بالشّيء واللّحاق به، خيرًا كان أو شَرًّا، قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النّساء: 79]، ثمّ كَثُر في الشّرّ، والمُصيبَةُ أصلُها في الرَّميّة، ثمّ اختصّت بالنّائبة، نحو: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: 165]، وهي المرادة في الآية[2].

2) ﴿قَدَّمَتْ﴾: (قدم) أصلٌ صحيح يدلُّ على سبْق[3]، وهو مأخوذة منَ القَدَم، والقَدَم: كلُّ ما قَدّمْتَ مِنْ خَيْرٍ أوْ شَرٍّ[4]، و﴿قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: سبقت بفعل الذّنوب.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 307.
(2) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (صاب).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قدم).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (قدم).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

رسـالـة النَّـبـيّ ﷺ، إبـطـالٌ لأعـذار الـقـومِ بعدمِ العِلْم

يقول اللّهُ تعالى في هذه الآية بيانًا لإقامة الحُجّة وقطع الأعذار: لولا أن يقول هؤلاء الّذين أرسلناك إليهم يا محمّد، لتقيمَ عليهم الحُجَّة، ولتقطع عُذْرَهم، لو حلّ بهم بأسُنا، أو أتاهم عذابُنا من قبل أن نرسلك إليهم على كفرهم بربِّهم، واكتسابِهم الآثام، واجترامِهم المعاصي: (ربَّنا هلّا أرسلت إلينا رسولًا من قبل أن يَحِلَّ بنا سخطُكَ أو عذابُكَ[1]، فنتَّبعَ آياتِك، ونؤمنَ برسلِكَ، ونكونَ من عبادك المؤمنين الصّادقين).

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو على الاستئناف:

الإنذار يكون بين يدي العذاب

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم﴾ للاستئناف؛ لأنَّها دخلت على جملة الشَّرط، وجملةُ الشَّرط تكون مستأنفةً[2]، والمعنى: لولا أن يَحتجّوا لو أصابتهم مصيبةٌ، بأن يقولوا: لولا أرسلتَ رسولًا فاتَّبعناه، لَما أرسلنا الرُّسل، وقيل: عاجلناهم بالعقوبة[3].

دلالةُ التَّعبير بـ(لولا) في السّياق:

إرسـالُ الـرّسـل قـطـعٌ لـحُـجَـج المُكَذّبين

(لولا) في قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ حرفُ امتناعٍ لوجود، أي: انتفاءُ جوابِها لأجل وجودِ شرطها، والتَّقدير: (ولولا إصابتُهم بمصيبة يعقبُها قولُهم: ربَّنا لولا أرسلت ...، لَما عبأنا بإرسالك إليهم، لأنَّهم أهلُ عناد وتصميم على الكفر)[4]، فقطع اللّهُ عذرَهم، وأقام عليهم الحُجَّة، بإرسال النَّبيّ ﷺ مبشرًا ونذيرًا.

دلالة التَّعبير بالمصدر المؤوّل:

الـكـفـر سـببٌ لنزول المصائب، وحلولِ الكوارث

آثرَ القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالمصدر المؤوّل ﴿أَن تُصِيبَهُم﴾، دونَ

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 241.
(2) الدّعّاس، إعراب القرآن: 2/ 433، والخرّاط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن: 3/ 896.
(3) الباقوليّ، إعراب القرآن: 1/ 36.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 135.

المصدرِ الصّريح (إصابتهم)؛ لأنَّ المصدر المُؤوَّل يدلُّ مع الحدث على مراعاة الزَّمن؛ بخلاف المصدر الصّريح؛ فلا يدلُّ إلّا على الحدث من غير زمن، وهذا غير مُراد في هذا السّياق.

سِرُّ التَّعبير بالإصابة دون غيرها:

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالإصابة في قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبَهُم﴾، دونَ غيرها من الألفاظ الّتي تقترب من هذا المعنى كالمسِّ مثلًا؛ لأنَّ الإصابة أقوى تمكُّنًا في إيقاع العذاب منَ المَسِّ؛ فلفظُ الإصابة يحمل من صفات القوَّة والشّدَّة في التَّأثير أكثرَ ممّا يحمله لفظُ المسِّ، وهذا هو المناسب لسياق الآية، ولاقترانها بلفظ ﴿مُّصِيبَةٌ﴾ بعدَها، فيكون التَّخويفُ أشدَّ باجتماع الفعل وفاعله الدّالَّين على شدَّة البلاء والعقاب.

الإصابة أقوى تمكُّنًا في إيقاع العذاب، والإحساسِ بأثره

سِرُّ التَّعبير بلفظ ﴿مُّصِيبَةٌ﴾:

اختير التَّعبيرُ بلفظ ﴿مُّصِيبَةٌ﴾؛ لأنَّها تُطلَق على كلِّ ما يُؤذي الإنسانَ من عذاب ونُقْمَة في نفسه أو ماله، ولأنَّها تُستَعمل في الشَّرِّ. والمصيبةُ في الأصل ما يُصيب الإنسان، أي: يَحُلُّ به منَ الأحوال، وغلب اختصاصُها بما يَحُلُّ بالمَرء منَ العقوبة والأذى[1]، وهذا هو المناسب لسياق الآية؛ لأنَّها في تخويف الكافرين وإقامة الحُجَّة عليهم.

المصيبة ما يَحُلُّ بالمُخطِئ منَ العقوبة والأذى

دلالة تنكير المسند إليه ﴿مُّصِيبَةٌ﴾:

دلَّ تنكير المسند إليه ﴿مُّصِيبَةٌ﴾ على التَّفخيم والتَّهويل من شأن تلك المصيبة، وعلى إفادة العموم لتشملَ كلّ مضرَّة تُصيب الإنسان عمومًا والكافر خصوصًا، ولعظيم هذه المصيبة قيل في تفسيرها: إنَّها عذاب الاستئصال[2].

المصيبة تقتضي ضررَ المصابِ، وأعظمُها الهلاكُ بالاستئصال

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 136.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 297.

بلاغة المجاز في: ﴿أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾:

البُعد عن جناب اللـه الأعـظـم يستوجب نزولَ النّقم

إسنادُ الإصابة إلى المصيبة في قوله: ﴿تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ مجازٌ عقليٌّ؛ لأنَّ المصيبة لا يعقل أن تكون هي القائمة بفعل الإصابة، فالفاعل الحقيقيُّ هو الله ﷻ، لكنَّ النَّظمَ القرآنيَّ أسند فعل الإصابة إلى المصيبة؛ للدَّلالة على شدَّة وقعها، وقوَّةِ أثرها، وجلالِ خطرها، فكأنَّها من شدَّتها قامت من نفسها بهذا الفعل، وكأنَّها تريد الانقضاض عليهم جزاءَ ما قدَّمت أيديهم، وفي هذا تخويفٌ وتحذير من مغبّة الشِّرك. وفيه توجيهٌ إلى التَّأدَّب مع الله تعالى في أن لا يسند لفظُ المصيبة إليه سبحانه.

دلالة الباء في: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾:

بيـان أنّ نـزول الـنّـقـم بسبب ذنوب البشر

تدلُّ الباء في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ على السّببيّة، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ وقوع النَّكبات على المشركين، ونزولَ النَّقم عليهم، كان بسبب ما سبق من أعمالهم من شركهم وكفرهم. ودلّتِ السّببيَّةُ هنا على أنَّ الجزاء كان وفاقًا لما اقترفوه، وفي هذا إشارةٌ إلى العدالة الإلَهيَّة قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [النحل: 33].

دلالةُ التَّعبير بـ (ما) دون (الَّذي):

عمومُ ما قدّمت أيديهم، منبئٌ بكثرة الإجـرام، ومـحـاربـةِ الإسلام

أوثِرَ التَّعبيرُ بـ (ما) في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دون (الَّذي)؛ لأنَّ (ما) تُفيد العمومَ؛ فهي أعمُّ وأشمل من (الَّذي)، وفي هذا إشارةٌ إلى عموم ما قدَّمت أيديهم، وكثرةِ ما أجرموه منِ ارتكاب المعاصي، ومحاربةِ الدَّعوة بكلِّ الوسائلِ المتاحة لهم، وهذا العمومُ لا يتأتَّى منَ التَّعبير بـ (الَّذي).

بلاغة المجاز فيما قدّمته الأيدي:

قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ فيه مجازٌ بالاستعارة في لفظ ﴿أَيْدِيهِمْ﴾، فهي مستعارة للعقول المكتسبة لعقائد الكفر، فشبَّه

الاعتقادَ القلبيَّ بفعل اليد، تشبيهَ معقولٍ بمحسوس[1]، وقد دلّت هذه الاستعارةُ على رسوخهم في الشّرك، وأنّ الشّرك الذي هو من أعمال القلب، فاضَ به الزَّمانُ والمكان، فصار محسوسًا تَقَدَّمَه الأيدي، وهذا فيه تبشيعٌ شديد، وتشنيع أكيد، على من أشرك باللّه شيئًا.

إيغالُ القومِ في الشّرك، جعله في حُكم المحسوس

سِرُّ تخصيص ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ دون سواها:

خُصَّتِ الأيدي بالذِّكر في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، وإن كان المراد هنا الشِّرك، وهو عمل قلبيٌّ؛ لأنَّ أكثر الأعمال تُزاولُ بالأيدي، فغلّب الكثيرَ على القليل، وهذا منَ الاتساع في الكلام، وتصييرِ الأقل تابعًا للأكثر، وتغليب الأكثر على الأقلّ[2].

أكثرُ أعمال الإنسان تُباشَر باليد

بلاغةُ حذفِ جواب (لَوْلا):

جواب (لولا) الأولى محذوف؛ لدلالة السّياق عليه، والمعنى: لولا قولُهم هذا عند إصابة عقوبةِ جناياتِهم التي قدَّموها، ما أرسلناك، لكن لمّا كان قولُهم ذلكَ محقَّقًا لا محيدَ عنه أرسلناك؛ قطعًا لمعاذيرهم بالكليّة[3]، أو: لولا أن يقولوا ذلك عاجلناهم بالعقوبة[4].

دلالةُ السّياق على الجواب المحذوف، مبينٌ عنِ المُراد منه

دلالة دخول (لولا) على الإصابة دون القول:

كان ظاهر الكلام دخول (لولا) على القول، لا على الإصابة والعقوبة؛ لأنَّ تقدير الكلام - واللّه أعلم -: ولولا أن يقولوا حين تصيبُهم مصيبةٌ ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولًا[5]، لكن ساغ هذا التّرتيب بدخول (لولا) على إصابتهم بالمصيبة؛ لأنَّ العقوبة هي سبب القول، فلو لم تنزل بهم العقوبةُ، ما احتجّوا بعدم إرسال الرَّسول، فلمّا كان القولُ مسبَّبًا عن العقوبة، وكانت العقوبة سببًا له،

دخولُ (لولا) على القول لأنّه مسبَّبٌ عنِ العقوبة، والعقوبةُ سببٌ له

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 136.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 12/ 73.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 17.
(4) الباقوليّ، إعراب القرآن: 1/ 36.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 135.

دخلت (لولا) عليه؛ للإيذان باستحكام كفرهم، ورسوخِ أقدامهم في الضّلالة، وأنَّ احتجاجهم بعدم إرسال الرَّسول، ليس نابعًا عن تأسُّف وتحسُّر على عدم إيمانهم، بل صدر منهم هذا الاحتجاجُ بسبب ما حلّ بهم من عقاب[1]. وفيه أيضًا: الاهتمامُ بتحذيرهم من إصابتهم بمصيبة جزاءً ما قدّمته أيديهم منَ الشِّرك والجُحود والطُّغيان، وأنَّها نازلةٌ بهم لا محالةَ إن لم يؤمنوا.

سِرّ ايثارِ لفظ الرّبوبيّة:

الرّبوبيّة تدبيرٌ لمصالح العباد

آثرَ النَّظمُ القرآنيّ لفظَ الرّبوبيّةِ في قوله: ﴿فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا﴾؛ للإيذان بأنَّ الإنسان في وقت المِحَن يَثوب إلى رُشْدِه، ويَعْرِفُ ربَّه، ويَعترفُ بأنَّه ﷻ المُربّي لجميع الخلائق، العليم بمصالحهم، المُدبرِ لأُمورهم. وفيه إظهارُ انكسارِهم وقتَ العقوبة، وحاجتِهم إلى خالقهم سبحانه بدعائهم إيّاه بوصف الرّبوبيَّة، وما يحمله من معاني الامتنان والتَّنعم على عباده، وواسعِ رحمته بهم، طمعًا منهم في رفع العقوبة عنهم، وإمهالهم ورحمتهم.

دلالة الإضافة في قوله: ﴿رَبَّنَا﴾:

نِداءُ الرّبّ تذلّلٌ واستعطافٌ، واعترافٌ لله بربوبيّته

الإضافة في قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ فيها استعطافٌ وتذلُّلٌ منَ المشركين لربِّهم ﷻ، وطلبٌ للإحسان منه سبحانه بعد فوات الأوان؛ لأنَّهم يقولون ذلك القولَ وقتَ حلولِ العذاب بهم، وفيه أيضًا اعترافٌ منهم بأنّه هو ربُّهم الحقُّ، ولا ربَّ لهم سواه.

دلالة ﴿لَوۡلَآ﴾ في قوله: ﴿لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ﴾:

دلالتُه على التّحضيض، مفيدةٌ في البيان

﴿لَوۡلَآ﴾ في قوله: ﴿لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ﴾ حرفُ تحضيض، وهي واقعة في سياق (لولا) الأولى الامتناعيَّة، حيثُ وقعت التّحضيضيَّة مقولًا؛ ليقولوا المعطوف على الشَّرط الواقع بعد (لولا) الأولى[2]، والمعنى:

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 298.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 533.

هلّا أرسلت إلينا رسولًا فنؤمنَ به، ونتَّبعَ آياتِكَ التي أرسلتَهُ بها. وفي التَّعبير بحرف التَّحضيض ﴿لَوْلَآ﴾، مزيدُ إظهار لتذَلُّلهم، وطمعِهم في رحمة الله بهم.

دلالة تقديم الجارِّ والمجرور ﴿إِلَيْنَا﴾:

التّقديم اهتمامٌ بالمُقدَّم، والتّشويقُ إلى المؤخَّر

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿إِلَيْنَا﴾ في قوله: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ على المفعول؛ لإفادة أنَّهم هم المعنيون بالأمر، والمقصودون بالحُكم؛ إذ هم في لحظة عذابٍ من الله جزاءَ كفرهم وإعراضهم، فكان تقديم ﴿إِلَيْنَا﴾ أولى.

دلالة التَّنكير في قوله: ﴿رَسُولًا﴾:

تعظيم وظيفةِ رسلِ الله في هداية البشر

التَّنكير في قوله: ﴿رَسُولًا﴾ يدلُّ على العموم والإبهام، كأنّهم حين نزل بهم عذابُ الله تعالى تمنّوا لو أنّه قد جاءهم أيُّ رسولٍ كان، يدلُّهم على ربِّهم ويهديهم إليه. وفيه أيضًا ادِّعاءٌ منهم بأنَّه لو وصلتهم الرّسالة من أيِّ رسول كانوا سيؤمنون بها ويُذعنون لما فيها، ويدلُّ على هذا المعنى قولُهم بعد ذلك: ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾، وكلُّ ذلك زعمٌ منهم، وطمعٌ في تأخير العذاب عنهم.

دلالة التَّعبير بالاتّباع ﴿فَنَتَّبِعَ﴾:

الاتّباع هو انقيادٌ واستسلام للرَّسول، دون جدالٍ ولا اعتراض

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالاتّباع في قوله تعالى: ﴿فَنَتَّبِعَ﴾ دونَ غيرِه؛ للدَّلالة على كمال الانقياد والاستسلام لهذا الرَّسول، وما معه من آيات دونَ اعتراض أو جدال؛ لأنَّ الاتباع في اللّغة يُطلق على الارتسام والائتمار، وعلى اللَّحاق، يقال: أتبعه إذا لَحِقَه[1]؛ فهم يدَّعون أنَّه لو بُعِث فيهم رسولٌ لكانوا له متَّبعين، ولِما جاء به مُنقادين.

دلالة الفاء في: ﴿فَنَتَّبِعَ﴾:

الفاء في قوله: ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ سببيَّةٌ، دلَّت على أنَّ ما قبلها

(1) الرّاغب، المفردات: (تبع).

سببٌ فيما بعدَها، وتقدير الكلام: لولا أرسلتَ إلينا رسولًا، فيتسبَّبَ عن إرساله أنْ نتبعَ ﴿ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وقد قطع اللهُ عذرَهم، فأرسل إليهم الرَّسول، وأنزل إليهم الآيات البيِّنات، وأراهم المعجزات الدّالَّة على صدق رسوله، فلم يتَّبعوه، ولم يؤمنوا بما جاء به.

ادّعاء الاتّباعِ كَذِبه الكُفرانُ وعدمُ الانصياع

سِرُّ اختيارِ الاتِّباع دونَ الايمان:

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالاتِّباع في قوله تعالى: ﴿فَنَتَّبِعَ﴾، لما فيه من معنى الموالاة، يقال: تَبِعَ الشّيءَ تَبَعًا وتَباعًا في الأفعال، وتَبِعْتُ الشّيءَ تُبوعًا: سِرْت في إثْرِه، وفي الاتّباع تُراعَى المعاني الدّقيقةُ، يقال: فلان يتتبّع مَداقَّ الأُمور[2]، وهذا يكشف عن أنّ العذاب لو نزل بهؤلاء لقالوا: لولا أرسلت إلينا رسولًا نتّبعُه متابعةً لا خللَ فيها ولا تقصير، ونؤمنُ بدِقِّها وجُلّها، ولم يَرِد التَّعبيرُ بالإيمان؛ لأنّه غيرُ مناسب للسّياق الَّذي قيل فيه قول الكافرين، فهم قالوا ذلك وهم في النّار.

آثرَ السّياقُ الاتِّباع؛ لمناسبته مقتضى حالِ مُدَّعي الاتّباع

سِرّ التَّعبير بقوله: ﴿ءَايَٰتِكَ﴾:

جاء التَّعبيرُ القرآنيّ بلفظ الآيات في قوله: ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ دون غيرها؛ لأنَّها لفظ عامٌّ يشمل الآياتِ القرآنيَّةَ والمعجزاتِ، ولأنَّها سببٌ للاتِّباع المقصود في الآية، وهو الرّسول ﷺ؛ لذلك كان التَّعبير بها أعمَّ وأشمل.

الآيات لفظ عامّ، يشمل الآيات الكونيّة، والآيات القرآنيّة

دلالةُ الجمع والإضافة في ﴿ءَايَٰتِكَ﴾:

جاءت الآياتُ مجموعة في قوله: ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾؛ دلالةً على تعدُّد الآيات وتنوُّع المعجزات التي أيَّد اللهُ بها النَّبيَّ ﷺ، وأُضيفت الآياتُ إلى ضمير الخطاب إلى الله ﷻ، وهذه الإضافة أفادت تعظيمَ تلك الآياتِ والتّفخيمَ من شأنها، فهي حَريَّةٌ بأن تُتَّبَع.

الدّلالة على تعدّد الآيات وتنوّع المعجزات، مفيدةٌ في الإبانة عنِ المراد

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 307.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (تبع).

دلالةُ العطف في قوله: ﴿وَنَكُونَ﴾:

عُطِفَت جملةُ ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على جملة ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾؛ لما بينهما منَ التوسُّط بينَ الكماليين، فقدِ اتَّفقت الجملتان في الخبريَّة، والجملتان يربطُهما معنًى واحد؛ وهو الامتثال والخضوع، وهذا العطفُ دلَّ على عِظَم الخضوع، فلم يكتف القومُ باتِّباع الآيات، بل ذكروا اتِّباعًا مشفوعًا بإيمان ويقين، وقولُهم هذا يكون لو نزل بهم العقاب، وحلَّ بهم العذابُ.

الجملتان المتعاطفتان يربطهما معنًى واحد؛ وهو الامتثال والخضوع

دلالةُ التَّعبير بفعل ﴿وَنَكُونَ﴾:

للتَّعبير بفعل الكون في قوله: ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دلالةٌ على تأكيد زعم المشركين في دعوى الإيمان المزعومة، وفي غير القرآن يجوز أن يأتي التَّعبير: (فَنَتَّبِعَ آياتِكَ ونُؤْمِنَ بها)، بعطف المضارع على المضارع، لكنَّ النَّظم القرآنيَّ ذكرَ فعلَ الكونِ تسويغًا لمجيء اسم الفاعل المجموع ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ مبالغةً منهم في دعواهم الإيمانَ والاتِّباع، وأنَّهم لو جاءهم رسولٌ منَ اللّه، سيؤمنون به إيمانًا يهيّئهم للدّخول في زمرة المؤمنين الرّاسخين في الإيمان، وكَذَبوا في زعمهم كما قال اللّهُ تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28].

إبطالُ حُجّةِ المشركين في زعمهمُ الإيمانَ

دلالةُ التَّعبير بالجارّ ﴿مِنَ﴾:

دلَّ التَّعبير بـ ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، على أنَّ هؤلاء القوم لو حلَّ بهم العذابُ سيزعمون أنَّه لو جاءهم رسولٌ بآيات اللّه، سيكونون من جملة المؤمنين؛ فهم بعضٌ منهم في زعمهم.

ادّعاء كونِهم من زمرة المؤمنين، ادّعاءٌ ظرفيٌّ عابر

دلالةُ التَّعبير بالاسميّة في السّياق:

دلَّ التَّعبيرُ بالاسميّة في قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دونَ الفعليّة (آمَنوا)، على دعواهم تحقُّقَ الإيمانِ ورسوخَه في قلوبهم، كما هو في قلوب الفئة المؤمنة، والمعنى: نكون منَ المؤمنين المُصدِّقين بك، في

بيانُ بُطلان زعمِهم رسوخَ الإيمان فيهم

كلِّ ما أتى به رسولُكَ ﷺ تصديقًا بليغًا[1]، وهذا زعمٌ مكذوب، ما حملهم عليه إلّا خوفُهم وقتَ حلولِ العذاب، ونزولِ العقاب.

دلالةُ (أل) في ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

التَّعريف في لفظ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ تعريفُ جنس، وقد دلَّ هذا التّعريف على تمكُّن الصِّفة في الموصوف، أي: أنَّ صفة الإيمان لو جاءهم الرّسولُ سترسخُ في قلوبهم، وتتحقَّق في نفوسهم.

الإيـمـانُ من أعظم الغايات التّي تُطلب

دلالة حذف متعلَّق لفظ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

حُذِف متعلَّق ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ في الآية للعِلْم به؛ لأنَّه قد سبق ذكره في قوله: ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾، ولإرادة العموم، أي: فنتَّبع آياتك بكلِّ ما فيها، منَ الإيمان باللّه وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وبكلِّ آية جاء بها النَّبيُّ ﷺ.

لا يُذْكَر المحذوفُ في التّركيب، لعمومه وللعِلْم به

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرّسولُ والنّبيّ:

الرّسول أخصُّ منَ النَّبيّ، لأنّ كلَّ رسولٍ نبيٌّ من غير عكس، والرّسولُ الّذي معه كتابُ الانبياء، والنَّبيّ الّذي يُنَبّئ عنِ اللّه وإن لم يكن معه كتابٌ. والرّسول مَن بعثَه اللّهُ بشريعة جديدة يدعو النّاس إليها، والنَّبيُّ: مَن بعثه لتقرير شريعة سابقة. وذكروا أنّ الرّسول الّذي يظهر له المَلَكُ فيُكَلّمه، والنَّبيّ: هو الّذي يرى في منامه، وربما اجتمعت النّبوّة والرّسالة في واحد[2].

كلّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولًا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 307.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 532.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»